

دلائل الإعجاز

(وَمَا أَنَا إِلَّا أَسَفُ قَمَمْتُ جِسْمِي بِهِ ... وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلَابِ نَارًا) .
المعنى : كما لا يخفى على أن السُّقْمَ ثابتٌ موجودٌ وليس القصدُ بالنفي إليه ولكن
إلى أن يكونَ هو الجالبُ له ويكون قد جَرَّه إلى نفسه .
ومثله في الوضوح قولُه - طويل - : .
(وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرَ كَلَّهْ ...) .
الشعرُ مقولٌ على القَطْعِ والنَفْيِ لأنَّ يكونَ هو وحدَه القائلَ له .
وهاهنا أمران يرتفعُ معهُما الشكُّ في وجوبِ هذا الفرقِ ويصيرُ العلمُ به كالمُتَرَوِّدِ .
أحدهما أنه يصحُّ لك أن تقولَ : ما قلتُ هذا ولا قالَه أحدٌ من الناس . وما ضربتُ
زيداً ولا ضربَه أحدٌ سواي . ولا يصحُّ ذلك في الوجهِ الآخر . فلو قلتَ : ما أنا قلتُ
هذا ولا قالَه أحدٌ من الناس . وما أنا ضربتُ زيداً ولا ضربَه أحدٌ سواي كان خُلُفاً من
القول وكان في التَّنَاقُضِ بمنزلةِ أن تقولَ : لستُ الضاربُ زيداً أمس . فَتَثْبُتُ
أنه قد ضُربَ ثم تقولُ من بعده : ما ضربه أحدٌ من الناس ولستُ القائلَ ذلك . فتثبتُ
أنه قد قيلَ ثم تجيءُ فتقولُ : وما قالَه أحدٌ من الناس .
والثاني من الأمرين أنَّك تقولُ : ما ضربتُ إلاَّ زيداً فيكونُ كلاماً مستقيماً ولو قلتَ
: ما أنا ضربتُ إلاَّ زيداً كان لَغْوَاً من القول وذلك لأنَّ نَقْضَ النَّفْيِ بِاللَّامِ يقتضي أن
تكونَ ضربتَ زيداً . وتقديمُك ضميرَكَ وإِيلَاؤُه حرفَ النفي يقتضي نفيَ أن تكونَ ضربتَه
فهما يتدافعان فاعرفْهُ .
ويجيءُ لك هذا الفَرْقُ على وجهه في تقديمِ المفعولِ وتأخيرِه . فإذا قلتَ : ما
ضربتُ زيداً فقدمتَ الفعلَ كان المعنى أنك قد نفَيْتَ أن يكونَ قد وَقَعَ ضربُ منك على
زيدٍ ولم تَعْرِضْ في أمرِ غيره لنفيٍ ولا إثباتٍ وتركته مُبهماً مُحتملاً . وإذا قلتَ
: ما زيداً ضربتُ فقدمتَ المفعولَ كان المعنى على أن ضرباً وَقَعَ منك على إنسانٍ
وطُنَّ أنَّ ذلكَ الإنسانَ زيدٌ فنفيتَ أن يكونَ إيَّاه . فلكَ أن تقولَ في الوجهِ الأولِ
: ما ضربتُ زيداً ولا أحداً من